هذا يجري دون ان تستطيع اسرائيل ، او الولايات المتحدة ، الحيلولة ، دون حدوثه حتى في اطار دولي تعتبر تقليديا حليفة للولايات المتحدة الاميركية وملتزمة بالتنسيق معها في مجالات السياسة الخارجية . وهذا مغزى اتساع نطاق الاعتراف في أوروبا الغربية باهمية العامل الفلسطيني وقدرته ايجابا وسلبا بالنسبة لاية حلول او خطط للسلام في الشرق الأوسط .

فضلا عن ذلك فان الحضور الفلسطيني بالنسبة للولايات المتحدة نفسها اصبح يغطي قطاعات باكملها ، ربما كان الاميركيون السود اوسعها عددا واهتماما في الفترة الاخيرة . ولكن ثمة قطاعات اخرى من الراي العام الاميركي صارت تفكر بالقضية الفلسطينية كجزء من المشهد العالمي ، بل كجزء من المشهد الاميركي نفسه . وقد كفلت هذه الحقيقة نفسها منذ الآن ، وقبل ان تبدأ حتى المرحلة الاولية . من انتخابات الرئاسة الاميركية في اهتمام عدد من المرشحين باعلان مواقف واقتراحات محددة من القضية الفلسطينية على وجه التحديد (وليس ازمة الشرق الاوسط في عموميتها) كمدخل لا غنى عنه لتحديد سياستهم الخارجية امام الناخبين الاميركيين ، بل وامام احزابهم .

واذا كان قد بدا للاميركيين ان من السهل القاء اللوم على اوروبا الغربية في اهتمامها المتصاعد بالقضية الفلسطينية بالقول بأنه اهتمام نفطي اي انه خضوع لضغط احتمال التعرض للمقاطعة النفطية العربية .. فان امتداد هذا الاهتمام الى داخل المجتمع الاميركي ربما في ذلك المجتمع السياسي نفسه ـ يقلل كثيرا من مصداقية هذا اللوم ، ويؤكد ان الحضور الفلسطيني اساسي ، وليس ثانويا تابعا للحضور النفطي العربي ، في ساحة السياسة العالمية ، وان كان احدهما لا ينفي الآخر ، وان كان كل منهما يدعم الآخر بدرجات متفاوتة جغرافيا وظرفيا .

والواقع ان متابعة التطورات الجارية حول الحضور الفلسطيني تؤكد ان اتجاه تيار هذه التطورات هو صوب مزيد من الضغوط الدولية على الولايات المتحدة واسرائيل ، ليس من جانب الدول التي تقف اساسا ولاعتبارات موضوعية معروفة مسبقا الى جانب العرب فحسب ، بل من جانب دول ظلت الى جانب الولايات المتحدة واسرائيل لسنوات طويلة تقاوم الاعتراف بالقضية الفلسطينية وشرعيتها وتمثيلها . وهكذا يمكن القول ان الولايات المتحدة واسرائيل تلزمان في الأونة الاخيرة مواقع دفاعية خالصة امام هجوم الدبلوماسية الفلسطينية المتلاحق في جبهة دول عدم الانحياز ، وفي أوروبا الغربية ، وفي قلب الولايات المتحدة نفسها .. وما لذلك من انعكاسات داخل « اسرائيل » .. نفسها . لا يعني هذا ان الولايات المتحدة واسرائيل متوقفتان عن متابعة جهودهما لمنع انتشار موجة الاعترافات بمنظمة التحرير الفلسطينية ، خاصة من جانب دول اوروبا الغربية ، من جانب قوى سياسية مؤثرة داخل الولايات المتحدة .. انما يعني ان الضغط الاميركي والاسرائيلي في هذا الاتجاه لم يعد هو التيار الرئيسي الفاعل في التطورات ، بل ان التيار الرئيسي يتمثل في ضغوط دول العالم ـ بما فيها دول اوروبا الغربية ، حتى الاطلسية ـ على الولايات المتحدة واسرائيل لاتخاذ مواقف مبنية على سياسة « واقعية » وادراك لحقائق القوى في الشرق الاوسط ، وفي مقدمتها حقيقة الوجود الفلسطيني وقدرة الثورة الفلسطينية وحركة الثورة الفلسطينية عموما في التاثير على الأحداث الاقليمية والعالمية .

وتزداد فاعلية الضغط المارس على السياسة الاميركية والاسرائيلية بفعل تحول مواقف مجموعات الدول ـ مثل مجموعة الدول غير المنحازة ومجموعة دول السوق الأوروبية المشتركة ـ من مواقف قطرية متناثرة الى سياسة جماعية يتم اقرارها واعلانها كسياسة موحدة .. الامر الذي يجعل مواجهتها بضغط مضاد اميركي واسرائيلي اشد صعوبة بكثير مما لو كانت سياسات منفردة .

وسواء ، كان توافق توقيت هجوم الدبلوماسية الفلسطينية ، وحضورها الكثيف على الساحة اللبنانية مع بداية الدورة الجديدة للجمعية العامة للامم المتحدة امرا مقصودا او غير مقصود ، فانه قد اتاح اعطاء صورة ، بانوراما ، او بالاحرى خريطة واضحة ـ للمواقع التي دخلتها القضية الفلسطينية وفرضت حضورها عليها . ولنا ان نتصور كيف شكل الحضور الفلسطيني فعلا كل المسافة بين المواقع التي عبر عنها البابا يوحنا بولس الثاني في خطابه امام الجمعية العامة ، (٢/١٠) بما يمثله مركز البابا من اهمية عظمى للعالم الكاثوليكي كله ، والمواقع التي عبر عنها الزعيم الكوبي فيديل كاسترو في خطابه امام الجمعية العامة